الفصل الثالث

الوحدة الموضوعية والتفسير الموضوعي

obeikandl.com

obeikandl.com

البحث في الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية،يُعَدُّ الجزء المكمل لما أطلق عليه " التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ". فالتفسير الموضوعي يكشف عن ذلك الموضوع، ويتعرف إلى أسلوب طرحه ومعالجته، وإبراز أجزائه وعناصره، في ضوء منهج محدد، ضمن قواعد بحثية منضبطة، فالوحدة الموضوعية في السورة القرآنية جزء من التفسير الموضوعي.وهي وثيقة الصلة بالتفسير الموضوعي، وجزء لا يتجزأ عن التفسير الموضوعي، فكان من المهم إن نلم أولًا بمفهوم التفسير، وأنواع التفسير الموضوعي وألوانه، حيث إن بعض المفسرين يطلق عليه تفسير هذا العصر، وتفسير المستقبل أيضًا، وذلك لماله من أهميه كبرى عند المسلمين، حيث أصبحت حاجتهم إلى هذا النوع من التفسير ماسَّةً.

وقد عَدَّ بعض المفسرين الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية لونًا من ألوان التفسير الموضوعي وجزءًا منه، والبحث في وحدة الموضوع في سور القرآن وتفسيرها على ذلك الأساس يعدّ الشق المكمل للتفسير الموضوعي في القرآن الكريم[1].

المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي:

إنَّ باب "تفسير القرآن " لا يمكن أن يغلق، لأن القرآن الكريم رسالة حية حتى قيام الساعة، ومهمة مستمرة حتى قيام الساعة، ولا يزال المسلمون يُقبلون على القرآن حتى قيام الساعة، يتلونه ويتدبّرونه، ويفسرونه ويؤولونه، ويطبقونه وينفذونه، ويتحركون به ويعيشون في ظلاله.[2]

(١) التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ـ زياد الدغامين ـ (٢٧٥)

(٢) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ـ صلاح الخالدي ـ(٥)

وبتجدد حاجات المجتمعات وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية، وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة التي لا يمكن تغطيتها ورؤية الحلول الصحيحة لها.[١] إلا بالرجوع إلى مصدر التشريع الأول القرآن الكريم، كل هذا أدى إلى ظهور منهج جديد في التفسير، في عصرنا الحالي، وهو التفسير الموضوعي.

ومن خلال هذا المبحث ستلقي الباحثة الضوء على تعريف التفسير الموضوعي، وألوان التفسير الموضوعي.

المطلب الأول:- تعريف التفسير الموضوعي لغة:-

يتألف مصطلح التفسير الموضوعي من جزأين أو يتركب من كلمتين:-

أولًا تعريف التفسير:-

التفسير في اللغة:- تفعيل مأخوذ من الفسر وهو البيان " فسر الشيء يَفْسِرُهُ بالكسر ويَفْسُرهُ بالضم فسرًا أو فسره:ـ أبانه.[٢] والفسر:كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه[٣].

ومنه الفسر:- الإبانة، وكشف المغطى، كالتفسير، والفعل كضَرَبَ وَنَصَر، ونظر الطبيب إلى الماء كالتفسرة أو هي البول كما يستدل به على المريض أو هي مولدة،[٤] وفي مفردات الراغب:ـ إظهار المعنى المعقول،والتفسير مبالغة من الفسر.

قال تعالى:ـ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ الفرقان: ٣٣

أي: أحسن توضيحًا وبيانًا للمطلوب.[٥]

وفي الاصطلاح:- عِلمٌ يُفَهُم به كتابُ الله المنزلُ على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمَه... [٦]

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي ـ مصطفى مسلم ـ (٣٠)

(٢) لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار صادر بيروت ـ بدون تاريخ ـ ٥/ ٥٥

(٣) معجم مقاييس اللغة ـ لابن فارس ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ طبعة دار الفكر المصورة عن الطبعة المصرية ـ (٤/ ٥٠٤)

(٤) القاموس المحيط ـ الفيروزابادي – مادة فسر (٤٢٥)

(٥) المفردات في غريب القرآن:- الراغب الأصفهاني ـ مكتبة الأنجلو مصرية ـ (٥٧١)

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي ـ (١/ ١٣)

obeikandl.com

ثانيًا:- تعريف الموضوع:-

أولًا:ـ تعريف الموضوع لغة:- من وضع يضع وموضوعًا، يقال:ـ وضع الشيء إلى الأرض:ـ

أنزله، ووضع الشيء في المكان:ـ أثبته فيه.[1]

ـ ومن الوضع، وهو جعل الشيء في مكان ما،سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، يقال ناقة واضعة:ـ إن رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وقيل:- وضعت تضع وضيعة فهي واضعة، وكذلك موضوعة يتعدى ولا يتعدى.

وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي، لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لايتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به.[2]

المطلب الثاني :ـ تعريف التفسير الموضوعي اصطلاحًا :ـ

تعريف الموضوع في الاصطلاح:-

هو قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم.[3]

أما تعريف مصطلح (التفسير الموضوعي) بعد أن أصبح لونًا من ألوان التفسير فقد تعددت تعاريف الباحثين المعاصرين له ومنها:-*(جمع الآيات الكريمة ذات المعنى الواحد،ووضعها تحت عنوان واحد، والنظر فيها بما يؤلف منها موضوعًا واحدًا، مستخرجًا من الآيات الكريمة على هيئة مخصوصة)[4].

وعرف بأنه:-

* ـ (المنهج الذي يتخذه المفسر سبيلًا للكشف عن مراد الله، من خلال

---

(١) المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية/ القاهرةـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ (٢/ ١٠٥١)

(٢) مدخل الى التفسير الموضوعي - عبدالستار سعيد ـ دار الطباعة والنشر الإسلامية ـ القاهرة ـ مصر ـ١٩٨٠م ـ (٢٠ـ٢٣)

(٣) مباحث في التفسير الموضوعي – د مصطفى مسلم ـ (١٦)

(٤) مدخل إلى التفسير الموضوعي ـ عبد الستار فتح الله سعيد ـ (٣٣)

obeikandl.com

الموضوعات التي يطرحها، والقضايا التي يعالجها توضيحًا لهداية القرآن الكريم وتجلية لوجوههِ وإعجازه))[1].

* - وعرف أيضًا بأنه: (هو علم يبحث في قضايا القرآن، المتحدة معنى أوغاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع)[2].

وقد رجح الدكتور مصطفى مسلم التعريف القائل بأنه: (علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر)[3].

المبحث الثاني: ألوان التفسير الموضوعي

هناك ثلاثة أنواع من التفسير الموضوعي:-

١- التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.

٢- التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

٣- التفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

والذي يهمنا من هذه الألوان اللون الثالث الذي له صلة وثيقة بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية بل يعده بعض المفسرين جزءًا منه. فيما يلي تعريف اللون الثالث من ألوان التفسير الموضوعي، مع ذكر مثال تطبيقي من دراسات المعاصرين لهذا اللون.

المطلب الأول: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية:

التفسير الموضوعي لسورة من القرآن الكريم،شبيه بالتفسير الموضوعي للموضوع القرآني، إلا إن دائرة هذا اللون أضيق من دائرة سابقه. حيث يبحث في هذا اللون من التفسير عن المقصد الأساسي في السورة الواحدة، ويكون هذا المقصد هو محور التفسير الموضوعي في السورة.

---

(١) التفسير الموضوعي في كفتي الميزان - عبد الجليل عبد الرحيم - دار النشر مجهولة - عمان - (١٩٩٢م) - (٣٤)

(٢) دراسات في التفسير الموضوعي - زاهرعواض الألمعي – مطابع الفرزدق - (٧)

(٣) مباحث في التفسير الموضوعي - مصطفى مسلم - (١٦).

obeikandl.com

وطريقة البحث في هذا اللون:ـ

أَنَّ يختار الباحث سورة من سور القرآن الكريم، وينظر فيها نظرة موضوعية متدبرة، ويقف مع آياتها وقفة مطولة، ويتعرف على موضوع السورة ومقاصدها وأهدافها، وعلى الخطوط الرئيسة التي تجمع مختلف موضوعاتها الفرعية.ويخرج من ذلك بتحليل موضوعي موسع ودراسة موضوعية متكاملة، تبدو فيها تلك السورة وحدة موضوعية متناسقة[١].

في كلِّ سورة من سور القرآن روح يسري في أجزائها، وفكرة عامة تربط بين آياتها.[٢] وكل سورة من سور القرآن لها شخصيتها المستقلة، وتُعَدُّ وحدة موضوعية موحدة، وتعالج موضوعًا رئيسًا أساسيًا، تندرج معه عدة موضوعات جزئية فرعية.

وهكذا تجد هدفًا عامًا تدور حوله السورة، وتتبعه معان أخرى تؤكده، ويخلص الإنسان في السورة من معنى إلى آخر خلوصًا طبيعيًا لاعسر فيه ولا اقتسار[٣].

ولم يظفر هذا اللون من التفسير الموضوعي بعناية المفسرين القدماء، بل جاء في ثنايا تفاسيرهم الإشارة إلى بعض أهداف السور وخاصة القصيرة منها.

وكذلك التوخي لوجه المناسبة بين مقاطع السور، كما فعل الرازي في تفسيره الكبير، وكما فعل البقاعي في نظم الدرر، وعبد الحميد الفراهي في نظام القرآن.

أما في العصر الحديث، فقد كان سيد قطب مولعًا بعرض مقاصد وأساسيات كل سورة، قبل البدء في تفسيرها، وبين كل سورة وملامحها المميزة لها عن بقية السور، والأساليب المتبعة في عرض أفكارها، فيعتبر كتابه "في ظلال القرآن " نموذجًا جيداً وبخاصة مقدمة تفسيره لكل سورة[٤].

---

(١) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ـ صلاح الخالدي ـ (٥٦).
(٢) علوم التفسير ـ. عبد الله شحاته ـ مطبعة جامعة القاهرة ـ مصر ـ ١٩٨٦م ـ (٣٨).
(٣) من بلاغة القرآن ـ أحمد أحمد بدوي ـ دار النهضة ـ مصر ـ بدون تاريخ ـ (٢٣٤).
(٤) ينظر:ـ مباحث في التفسير الموضوعي ـ مصطفى مسلم ـ (٢٩).

obeikandl.com

كما ظهرت العديد من المؤلفات في العصر الحديث، التي تفسر السورة القرآنية تفسيرًا موضوعيًا ومن أمثلة ذلك:ـ

"تفسير سورة يوسف "للدكتور محمد البهي حيث يتبع المنهج الموضوعي في تفسير السورة، موضحًا أن غاية السورة:ـ إن الله أراد أمرًا، وأن الإنسان أراد أمرًا آخر، ولكن الكون وجد بإرادة الله وحده ويدور في إطار هذه الإرادة الإلهية وحدها[1].

المطلب الثاني :ـ نموذج من التفسير الموضوعي للسورة القرآنية : -

بدأ الدكتور مصطفى مسلم دراسته الموضوعية لسورة الكهف، تحت عنوان" القيم في ضوء سورة الكهف" بتمهيد يبين فيه أهمية تحديد هدف السورة من الباحث، وأن الهدف كلما كان هدفًا قرآنيًا جليًا، يلاحظ الباحث أن كل المعاني تتوجه إلى إبراز هذا الهدف،أو تعميقه في النفس والمشاعر، وإلقاء الأضواء عليه بيانًا وكشفًا وتوضيحًا.

ثم تناول مقدمات عامة، تحدث فيها عن اسم السورة وعدد آياتها وخصائصها، ووقت نزولها وسببه، ثم ذكر أهداف سورة الكهف، حيث بين أن السورة الكريمة، ألقت أضواء كاشفة على كل أسباب الفتن، وأعطت المؤمن الميزان الحق لمعرفة الحقائق من الأباطيل، والصدق من الكذب والصحيح من الزيف، وبين أن هذا هو سبب اختياره لعنوان " القيم في سورة الكهف "

وبعد ذلك انتقل إلى ذكر المناسبات في السورة، فبين المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها، والمناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها، ووضح المناسبة بين مقاطع السورة وهدفها.

وخلص إلى أن القصص الأربع التي اشتملت عليها سورة الكهف هي أسباب الفتن الأساسية في الحياة الدنيا، والفتن هي:- فتنة السلطان، وفتنة المال، وفتنة

---

(١) تفسير سورة يوسف ـ محمد البهي ـ دار غريب ـ القاهرة ـ (٦).

obeikandl.com

العلم، وفتنة الأسباب،ووضح أن السورة بعد أن ألقت أضواء كاشفة على كل أسباب الفتن، أعطت المؤمن الميزان الحق لمعرفة الحقائق من الأباطيل، والصدق من الكذب والصحيح من الزيف.

ولهذا كانت قراءة سورة الكهف نورًا كاشفًا وعلاجًا ناجحًا للفتن جميعها، فإن قيم هذه الأشياء إذا أدركت في ضوء الإيمان بالله سبحانه وتعالى ورجاء مثوبته يوم القيامة حاز المؤمن الميزان الحق الذي يعرف به الحق ويسير على هداه. تمثل الحقيقة في سورة الكهف عقيدة وسلوكًا وعصمة من أنواع الدجل كلها، وعلى رأسها فتنه المسيح الدجال.

وبعد ذلك انتقل إلى دراسة السورة حيث قسمها: -

إلى افتتاحية للسورة، وخمسة مقاطع، وأخيرا خاتمة السورة، واستعرض ذلك بذكر الآيات ثم ذكر الموضوعات الأساسية في الافتتاحية، وبيَّن الحقائق التي وردت في الافتتاحية، ثم ذكر الآيات في المقطع الأول، حيث ذكرت قصة الفتية المؤمنين، ثم العرض التحليلي للقصة، وبعد ذلك تعقيب واستطراد وتعليل، ثم العظات والعبر من قصة أصحاب الكهف.وانتقل إلى المقطع الثاني تحت عنوان: مفارقات ومواقف في بواعث العزة، حيث بيَّن فيه المناسبة بين المقطع الأول والثاني، ثم قدم عرضًا عامًا للمقطع الثاني، وخلص إلى ذكر العظات والعبر من المقطع الثاني. وانتقل إلى المقطع الثالث تحت عنوان:وقفه تأمل في المآل والمصير، وبين فيه المناسبات بين المقطع الثالث وما قبله، ثم العرض الإجمالي للمقطع الثالث، وخلص من المقطع الثالث بفوائد وعظات وعبر.

ثم انتقل إلى المقطع الرابع: الرحلة في طلب العلم بيَّن فيه المناسبات بين المقطع الرابع وما قبله، ثم العرض الإجمالي للمقطع، وخلص إلى العظات والعبر من المقطع الرابع، وقد قسمه إلى أربع فقرات، ثم انتقل إلى المقطع الخامس: - قصة ذي القرنين الرجل الطواف. حيث ذكر المناسبات، وقام بالعرض الإجمالي لهذا المقطع، ثم ذكر القيم في قصة ذي القرنين، وأخيرًا ذكر العظات والعبر من المقطع الخامس.

وختم الدكتور دراسته بخاتمة السورة، حيث بين أن الخاتمة تضمنت جملة من الحقائق التي تضمنتها الافتتاحية.وبذلك أنهي الدكتور مصطفى مسلم دراسته الموضوعية لسورة الكهف.[1]

obeikandl.com

(١) ينظر التفسير الموضوعي ـ مصطفى مسلم ـ (١٦٩ـ ٣٢٩)